



لأدرى لماذا جاءتني هذه الفكرة وكيف، وهي أن أكتب عن شاعر من شعراء الأمة في العصر الحديث، سوري الجنسية، أديب الطبع والقيم، صادق المشاعر تجاه قضايا أمته، وقبل هذا كله هو سياسي بارز كان له دور هام حيال الأحداث التي عصفت ببلادنا في مطلع القرن العشرين.

لعل السبب في هذا هو ما سمعته على لسان أحد الإخوة الأكابر يذكر أن أحد السياسيين، أثناء مقابلة له، ردّ بيته من قصيدة، هو:

لا يلام الذئب في عدوه *** إن يكن الراعي عدو الغنم

فذكرت أن هذا البيت من قصيدة للشاعر عمر أبو ريشة بعنوان (أمتى)، يلومها فيها على تقصيرها، ومع أنني درست هذه القصيدة في المرحلة المتوسطة، إلا أنني اليوم عندما تذكرتها، وجدت لأبياتها وقعاً ما زال يتجدد ويتردد في جنبات تاريخنا الحديث. لذلك أحبيب أن أتذكر هذا الشاعر الذي يحترق جنباته أسى على أوضاع أمته، والسياسي الذي لم يدخل وسعاً في حمل همومها بصدق وإخلاص، فرأيت فيه نموذجاً للرجال الذين نصبوا أن يتقلدوا أمور الأمة. **فمن هو عمر أبو ريشة؟** هو شاعر سوري، ولد في منبج، وتلقى تعليمه الابتدائي في حلب، وأتم دراسته الثانوية في الجامعة الأمريكية، ثم أرسله أبوه إلى إنجلترا عام (1930م)، ليدرس الكيمياء الصناعية.

وهو من كبار شعراء وأدباء العصر الحديث، وله مكانة مرموقة في ديوان الشعر العربي، وهو الإنسان الشاعر، والأديب дипломاسي، الذي حمل في عقله وقلبه الحب والعاطفة للوطن، وللأمة، وللإنسان، للتاريخ العربي والإسلامي، ففجر هذه الأحساس في أعماله الأدبية المتنوعة بأرقى وأبدع الصور والكلمات والمعاني.

تقلد شاعرنا العديد من المناصب: حيث عمل في مقتبل عمره مديرًا لدار الكتب في حلب، ثم انتخب عضواً في المجمع العلمي عام 1948م، ثم عين ملحقاً ثقافياً لسوريا في الجامعة العربية، ثم سفيراً لسوريا في البرازيل، ثم تنقل بعدها في الأعمال الدبلوماسية بين الأرجنتين، وتشيلي، والهند، والولايات المتحدة.

وقد امتاز بحضوره القوي حيث وجد، وبحمله لقضايا أمته في كل محفل حلّ به، فاستحق التكريم ممن عرفوه، لذلك قُلد العديد من الأوسمة: من البرازيل، والأرجنتين، والنمسا، ولبنان، وسوريا. كما كرم في العديد من المؤتمرات العربية والدولية. ولما أحيل إلى التقاعد بفعل (الحركات التصحيحية) اختار كسواه من رجالات سوريا الصادقين تمضية بقية الحياة في الرياض، وفيها وافته المنية يوم السبت 22 ذي الحجة عام 1410هـ، الموافق 14/6/1990م، وتم نقل جثمانه

وُدِفِنَ فِي مَدِينَةِ حَلْبِ فِي سُورِيَا. رَحْمَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- رَحْمَةً وَاسِعَةً.

وقد ترك شاعرنا إرثاً أديباً حافلاً من الأعمال الأدبية، والمسرحيات الشعرية الهامة في تاريخ الشعر العربي الحديث، والقصائد الرائعة التي تواكب هموم الأمة وتطلعاتها ومشكلاتها. ومن هذه الأعمال:

- الدواوين الشعرية: بيت وبستان، نساء، كاجوارد، غنيت في مأتمي، أمرك يا رب.

- الأعمال المسرحية: تاج محل، علي، رياض ذي قار، الطوفان.

- مجموعة قصائد شعرية.

- ملاحم البطولة في التاريخ الإسلامي.

- قوله ديوان شعري باللغة الإنجليزية.

- والكثير من المؤلفات والقصائد الشعرية الهامة والتي تعد من أبدع الأعمال الشعرية في النصف الثاني من القرن العشرين.

وقد اختارت من قصائده هذه القصيدة التي خاطب بها أمته لائماً لها على ما حلّ بها من مصائب، {ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}.

أمتي:

أمتی هل لك بين الأمم *** منبر للسيف أو للقام
أَللَّفَاكِ وَطَرْفَيِ مُطْرِقٍ *** خجلا، من أَمْسِكِ المنصرِمِ
ويكاد الدمعُ يهمي عابتاً *** ببقايا كبراءِ الْأَلْمِ
أين دنياك التي أَوْحَتْ إلى *** وترى كلَّ يتيمِ النَّغْمِ
كم تخطيتُ على أصدائه *** ملعبَ العِزِّ ومغني الشَّمْ
وتهاديثُ كأني ساحبٌ *** مئزري فوق جياه الأنجمِ
أمتی كم غصَّةٌ دامية *** خنقَتْ نجوى علاكِ في فمي
أي جرح في إبائي راعفٍ *** فاتهِ الآسي فلم يلتنَ
أَلِإِسْرَائِيلَ تعلو رايةُ *** في حمى المهد وظلَّ الحرم؟!
كيف أغضيتكِ على الذلِّ ولم *** تنفسي عنك غبار التُّهَمِ؟
أَوْ ما كنتِ، إذا البغي اعتدى *** موجةً من لهبِّ أو من دمِ؟!
كيف أقدمتِ، وأحجمتِ ولم *** يشتَّفَ الثَّأْرُ، ولم تنتقمِ؟
اسمعي نوحَ الحزاني واطربِي *** وانظري دمعَ اليتامي وابسمِي
وَدَعِيَ القادةَ في أهواهِها *** تتفانِي في خسِيسِ المغنمِ
ربِّ وأمعتصماه انطلقتِ *** ملءَ أفواهِ البناءِ الْيُتَمِّ
لامستَ أسماعَهم لكنها *** لم تلامسْ نخوةَ المعتصمِ
أمتی كم صنمَ مجَدِّتهِ *** لم يكن يحمل طُهرَ الصَّنَمِ
لا يلامُ الذئبُ في عدوانِه *** إن يك الراعي عدوَ الغنمِ
فاحبسِي الشكوى فلولاكِ لما *** كان في الحكم عبِيدُ الدرهمِ
أيها الجندي يا كبش الفدا *** يا شعاعَ الْأَمْلِ المبتسِمِ

ما عرفتَ البخل بالروح إذا *** طلبتُها غُصصُ المجدِ الظمي

بورك الجرح الذي تحمله ** شرفاً تحت ظلال العلم

المصدر: رابطة العلماء السوريين

المصادر: